الفصل الثالث عشر
أميمة رزق الساخن

إهداء

إلى من أقبّل يديها الطاهرتين، وجبينها الشامخ وصوتها الذي يشعرني بالأمان رغم ما يحتويه العالم من مخاوف إلى قلبكِ الذي طالما يحنو عليّ حين يقسو الزمان يا من أمطرتِ قلبي حباً وأغدقتِ مسمعي كلاما عذباً... إليكِ أمي الحبيبة العظيمة في مقلتيّ (سهيلة الساخن) هذهِ كلماتي أهديها لكِ... وإلى نورِ دربي، ومهجة قلبي، ومبلغ حبي يكفيني فخراً أنه دوماً بقُربي، أدعو أن يحفظه ربي... إلى أبي الغالي (رزق الساخن).

إهداء: إلى قلبها الذي أحببته.. ولم أُحبَ كمثله بصدق ونقاء.. إلى روحها التي لن تفارق روحي.. الجسر الذي عبرنا نصفه رغم الحواجز الصعبة التي واجهناها سنبقى نعبره إلى أن نصلَ الضفة الأخرى من الحياة سوياً، إليكِ أخطُ بقلمي شعراً لا حبراً إن عجز الشعراءُ والكتّابُ عن

وصفكِ فأنا أعجزهم، إلى أمي التي لم تلدني: (وجيهة العتايقة)

إهداء: إلى عائلتي التي تسكن وجداني وسلاماً على أختي (مي الساخن) أعدُكِ بأن يرى قلمكِ النور يوماً كما فعلتُ كنتِ سنداً متيناً وروحاً تبعثُ الأمل بي.. شكراً لكِ ولكل من آمنت بموهبتي هذه من صديقاتي .. شكراً لنفسي التي مازلت أردد على مسمعها أنني حتماً سأصل.

****

" رشفة قلم "

تعبت يداي.. فاستقلت عن الكتابة، ذبلَت أفكاري بعدما كانت مزهرة..

انقطع الاتصال بالأمل، لا أدري إن كنت مقصرة؟

أم أنّ أحلامي أرهقتها قترة ؟!!!.

توالت همومي وتشابكت أحبالُ أحزاني، هل سأبقى أنتَظر اليُسر بعد عُسرة؟.

فمن شدةِ الهموم حسبتُ دنيايّ مقبرة.. ارحمني يا قلبي رفقاً بي.. ستقتُلني من الحسرة .

أمي: أينَ أنتِ من دنيايّ؟ أهكذا سأبقى دونكِ كالأوراقِ المُبعثرة..!!؟ أراكِ حزينة وتدمَعُ عيّناي عاجزة عن تبديلِ حزنكِ إلى مسَرّة، فيا ليتَ قلبي لم يُبصِر و يا ليتَ عيني لَم تَرَ سامحيني.. أتأسفُ على حالي، وهل تفيدني المعذرة!!

تتضاعفُ الجراحُ على غيابكِ وكأنَّ كل جرحٍ بعشرة، أتساءَل..

هل نحنُ من اختار ذلكَ أم أنّ قلوبنا على الغيابِ مُجبرة..؟؟

أمي

أجيبيني، إلى متى الفراق وإلى متى سأبقى مُنكسرة!!؟؟

سأحيا على أملِ اللقاءِ بِكِ ضاحكةً مستبشرة، وإن يَئست فذاكَ لم يَعد قلبي بل أصبحَ مقبرة.
هُناكَ بحرٌ اسمهُ أمل إن نفد أَعِدُكِ أن تبقى فيه قطرةُ لُقياكِ..
وهل سيحرمني اليأسُ من قطرة؟؟!! .

.....

صرتِ لي كل شيء ...صارت الحياة شيئاً بشعاً دونك، أصبحتُ لا أرى ضوء القمر إلا بنور وجهك.
الحياة رتيبة..الكآبة.. الحزن، والوقت المتوقف والدقائق، والثواني التي لا تمر إلا كساعات ... والوجه الشاحب، والدمعة الساقطة لشوقك كأنها شلاّل منهمر
إنها علامات الشوق إليكِ..
إنه الحنين حين يطرق باب قلبي لرؤيتك.. الضياع طريقي حتى أجد الطريق إليكِ ، والوحدة ملجأي إلى أن ألجأ إلى أحضانك يا أمي.
من ذا الذي يحرمني منكِ لا الوقت، ولا الطرقات، ولا الذكريات ....

لن أكون أسيرةً لشيء ما دمت حرةً من الداخل ومادامت ذاكرتي تحتفظُ بكِ أنتِ حينما حذفتُ منها كل ما سواكِ.... القوة أن أحبكِ وأعترف للعالم بأسره أني أحبكِ وأنتِ أمي..

فلتنهض الشمس بشعاعاتها المتناثرة على الجوانب..

ولتعلن الغيومُ سباتها.. ولتصفو السماء بلونها الأزرق

وليعلنُ الموجُ هدوءه وليرقص العصفور على أغصان الشجر ...وليرقص قلبي معه فرحاً ومرحاً وخيلاءً

ليستيقظ أملي من نومه.. لتعود روحي من جديد..

قُدّي قميصَ الكآبة العالق بجسدكِ يا أمي، والبسي فستان الفرح المكسو بالدانتيل كأميرة القصر كأجملِ الجميلاتِ في كوني ...

افعلي كلّ شيءٍ جميل..

إنه يومُ ميلادك..

فليشهد العالم بأجمعه أنكِ ازددتِ عاماً من السعادة، مِنَ الجمال، من الطاعةِ لا رقماً فحسب..

وليشهدوا في كل ميلادٍ لكِ أني وفيةَ الحبِ... صادقة الوعدِ، يدي مازالت قابضةً على يدك ...روحي تداعِبُ روحك...وقلبي يقبلُ قلبَكِ...أُشهدُكِ يا أمي أني أحبُكِ بلا

شكَّ ولا ريب... وأني لم أخونَكِ بالغيب.. أني أحبُكِ حباً
لو قلتُ أنّي بإمكاني وصفه؛ لكانَ ذلك في حقي عيب.

.....

إنني أنزِفُ وجعاً... كموتٍ لا يردعهُ شيء سوى أن يحدُث..
هلّا أتيْتِ..؟؟
بصوتكِ..
بصورتكِ التي لا تُفارقُ مخيلتي لبُرهة من الزمن..؟!!
أمِن سُنن الحياةِ أن نبقى هكذا عالقتيّن بيْن اللقاءِ
وعدمِه..!!؟
هل سأبقى أنتظِرُ تأشيرةً من الصُدَفِ حتى تجمعنا بلقاءٍ لا
فراق له..؟
الدربُ مُوّحِش.. والليل والنهار يطولان في غيابكِ يا أمي.
أنا لم أتوّرد مُنذُ أن فارقتِني إلا بُكاءً ونحيباً لا يسمعه
سوى الجدران البالية، كانت تتحسُ حجم الألم يتضاعفُ
يوماً تلوَ الآخر حينَ أخرجتني من حياتك. أتذكري تلكَ
الأيام؟؟! ..
لن يروي وجهيَ المكمور في غيابكِ إلا لقاءك.. علّي
أستعيدُ الحياة من جديد.. فإنّ قلبي مُتعب متروك على

حافة الجنون بلا أمل.. يرتجي منكِ الخلود في ثناياكِ.. فإنّ فيه عروةٌ، وثقى من الحُب والوفاء لكِ لا تنفك أبداً.

.....

أحياناً يصعب على الإنسان أن يستجمع قواه التي تسقط مرةً تلو الأخرى. جسده يسقطُ بين يديه ولا يستطيع احتضانه ...خارت قواه وتكدست آلامه في صدره فلم يسعه إلا أن يصرخ دون صوت.

فالصوتُ المتحشرج في الحنجرة يأبى الخروج، والجفن الحائر لا يهنأ بالنوم، والعقل دائم التفكير لا يهدأ له بال..

يا أمي، ليس في الحياةِ أسوأُ من غيابِ أمٍ حنون على ابنتها... أن أعُدَّ كل ثانيةٍ تمرُّ عليّ هنا من ملايينِ الثواني على أمل الخلاص... الخلاص الذي سيجعلني أرى وجهكِ من جديد، ثُمّ لا يكونُ في قلبكِ أي قبول وأنتهي أمام قدميكِ كورقةٍ يابسة!!

إنني على أملٍ أنّ روحي حدثتكِ عنّي وكيفَ أدعو لكِ بالحفظِ كلّ صلاة.

لا أدري كيفَ ساقَت لكِ هذا الحديث... لكنّي متيّقنة تماماً أنها تُخبِرُ روحكِ: " عانقيني لنعانقَ أمجادَ السماء ...

لن أموتَ قبلَ أن أراكِ، ولن يغطي وجهي التراب قبلَ أن تكتحلَ عيّنايَّ بكِ "..

غيرَ أني سأكونُ ميّتةً بالفعل؛ إذا لم تطبعي قبلة على وجنتيّ الحمراويّن وتحتضن ساعديكِ جسدي الهزيل وتُحيي ابتسامتكِ روحي الميّتة.

أنتِ ما تبقى من نبضي لأعيش... أقاوّمُ الموتَ بالحياة كي ألتقيكِ،

أنتِ الحياةُ ولستُ مستعداً لفقدها.

أرأيتِ...؟ إنّ في حبنا لغرابة..!!، فما بالُ تلكَ القصص كلها لها نهاية حتمية ... إلا قصتنا يا أمي إن انتهت في الدنيا بدأت من جديد عند باب الجنة أرأيتِ حباً كهذا من قبل؟

أطلُ على الشوارعِ المعتمة من نافذةٍ زُجاجها مكسور... أقتَرِبُ منها فتجرحني... أسيرُ في ذاكرتي إلى تلكَ الأيامِ التي أبحرتُ في أعماقها وكأغلى لؤلؤة اصطادها قلبي أنتِ.. ألتقِطُ شُعاعاتها المتناثِرَةِ في شتّى الأماكِن التي مازالت تذكرني بقوّةِ حُبنا ...

والشوقُ الذي أحرَقَ تفكيري بكِ والذي بَخَّرَت قطراتُه راحتي؛ كأنّي فارغةً مِن كُلِّ شيءٍ مملوءةً بِكِ،

والقارِبُ الذي كادَ أنْ يَصِلَ إلى الشاطئِ بسلام ثُمَّ جذَّفتهُ ريحُ الحنينِ العاصِفِ وألقَتْ بِهِ عُرضَ البَحر..
أحقاً أضاعَ بوصَلَتهُ أم تاهَ قلبُه؟!!!
والحنينُ الذي مَزَّقَ شِراعَهُ حتى لا يعودُ إلى حيثُ كان..
والمشاعِرُ المُتجمِدة لا تُناسِبُ الشوّقَ الملتهِبُ في صدري..
والضياعُ دونَ ضلال.. والبُكاءُ دونَ دموع ..
والوجهُ المضمر بين ثنايا الحُزن، والحُب، والحنين،
يكشِفُ وَجهاً يكسوهُ قُوَّةً مكذوبة، وضحكةً صفراءَ سُلِبَتْ مِنها الابتسامة.
فمِن شِدَّةِ اليَأسِ يدايَّ ما زالَتْ مُتَشَبِثَةً بأكتافِكَ ومازالَتْ روحي تُعانِقُ روحَكِ... لا أُريدُ أن أتركك فهُناكَ مَأمَني ومسكَني.. أنا اللاجِئَةُ إلى وطنكِ مِن حربِ الظُلمِ والظالمين... أتيّتُ إليّكِ دونَ عنوانٍ فاعرفيني؛ إني ابنَتُكِ ولا أُريدُ إلا حُضنَكِ وطناً يُنقذني مِن كُلِّ شيءٍ...
ولِماذا الجُمود ومازالَ العُصفورُ يُغَرِدُ فَوّقَ الغُصنِ المُتكّسِر، والموسيقارُ يَعزِفُ سيمفونِيّةً على القيثارة..
ألسنا أحقُّ بهذِهِ الحياة..؟!!
حياةُ الحُبّ.. حياةً نحيا بها وتحيّا بنا.

أنا الواقِعَةُ في حُفَرِ اليَأس أكتُبُ لَكِ بِحبرِ الحُب وأتَوَسَلُ إلى ربي أن أُفارِقَ الحياة وأنا بينَ يديكِ.. سأعيشُ أياماً قليلة شئتُ أم أبيْت.. وسأصبِحُ ذكرى في دفترِ ذكرياتِكِ، وفيلماً مُكرراً في شريطِ ذكرياتكِ يا أُمي، خُذيها وارميها في الجُب قارورةَ الذكرى المؤلمة... خذي دمعَ السنين... خذي نصفَ عمري يا حنيني.. وأعطني جناحين من حُبٍ علّي بهما أطير. كتشابُكِ الأصابِعِ إذا التقت، كتشابُك الأغصانِ إذا ارتقت كتلاقي الغيومِ إذا سَمَت هكذا قلبي وقلبكِ سيلتقيان.

في ليلةٍ باردةٍ مظلمة ... دعوّتُ اللّهَ أن يرزقني نوراً يملأُ عتمة ذاكَ القلب المهجور، كان ذاكَ إنساناً.. وهل ترى إنساناً من نور ؟؟!!
لكن ما الحاجة إلى النورِ وقد انطفأتُ من داخلي كسراجٍ خَرِب في بيّتٍ خراب، لا يُضيء البيت ولا يضيءُ ذاته، أحببتُكِ يا صديقة... وأشعلتُ روحي من جديد لسعادتك ... لرؤية البسمةِ تتراقصُ على شفتيكِ، كُلُ هذا فعلته بحب، بروحٍ لا تريد إلا سعادتك.

أخافُ عليكِ من كلّ شيء، ومن نفسي إذا أخطأت في حقك.. إذا تمرّدَت من شدةِ حبها.

متى كان لنا حقُ الاختيارِ في الأقدار..؟؟!! .
متى كان ما على هذه الحياةِ ثباتاً حتى أراكِ الثباتَ كلّه..
لكن ما إن هبّت ريحٌ حتى اقتلعَتني من قلبكِ كجذورٍ صغيرةٍ ميتة في باطنٍ تربةٍ هشة.
أتدري !! ليتني أصحو من دهشتي واستغرابي، فما بالُكِ أستَرقُ المجيء إليكِ لهفةً واشتياقاً.. ثم لا أجدُكِ الصديقة التي مازالت صورتها عالقةً في مخيلتي ... صدقيني كان برود اللقاء كجبلٍ جليدٍ جمّدّ مشاعري الملتهبة شوقاً إليكِ ... كتائهٍ زادَ تيهه في الأرضِ الفيافي القاحلة، ضاع ولم يجد نفسه.
ما الذي فعلتيه بشقيقة وجدانكِ؟! بامتدادكِ الروحيّ المزهر ؟! .
روحي باتت بيّنَ يديّ ترتجف... تدوي صوتاً مبحوحاً لا حياةَ فيه..
كسنجابٍ أخرس يعيشُ في جوّفِ شجرةٍ خاوية في البرد القارس.

هكذا أنا...

هكذا روحي حينَ خذلتني...
وما المغري في العودةِ إليكِ وأنا جريح قلبي في رمحٍ من رماحكِ؟ أصبحتُ شاعرةً... عصيّة الدمعِ... عصيّة المشاعر، كبستان جاءته نارٌ أحرقته فأصبح كالصريم، سأعودُ إلى قاعيّ المظلم ؛ فالوحدةُ أهون على قلبي حينما أهونُ على من كنتَ عنده لا أهون .

****

" لفتة "

سطرتُ باسمكِ أجملَ صفحات قاموسي ...ثم جعلتُ
حروفكِ أبجديته ...فلتفهمي لغة الحبِ من حبري يا أمي...
فإني كتبته بلغةٍ أعجمية
لا يفهمها إلاكِ...
ألفُ حبٍ لكِ إن أيقظتني من غفلتي وألفٌ فوق ألف إن
كان غضبُكِ عليّ خوف.

.....

يراكَ الله في قاع الحزن وينقذك... ينتشلك من
أحزانك، يجبر كسر قلبك... يُزهر بساتيناً من الفرح في
أيامك...لكنه يبتليك ليرفعك، يبتليك لأنه يحبك، الله
سندك حين يتخلى عنك الجميع.

.....

كيف أقنعهم أن قلبي ينزفُ وجعاً ألف مرةٍ في اليوم، في حين أني أخفي ذاكَ الوجع وراء ابتسامةٍ صفراء تغزو وجهي الشاحب.. اللّٰهُمَّ ارحم قلبي... فإنه الآن يحتضر

.....

لمَ تبقَ إلا أخر قطرة في زجاج العطر التي أهديتني إياها ...هل أتركها للذكرى؟ ... أم أرشها على الجسد البالي كي يحيي من جديد؟ ... قطرة تبعث السعادة في روحي... أم قطرة أخبئها حين أبحثُ عنكِ في ثنايا الحاضر ولا أجدُكِ...أحقاً لحظاتنا الجميلة ستدفنُ مع الذكرى يوماً؟ أم أنك عالقةً بروحيِ أقوى من قبضة الانتزاع ؟؟!! .

****